

محبوب

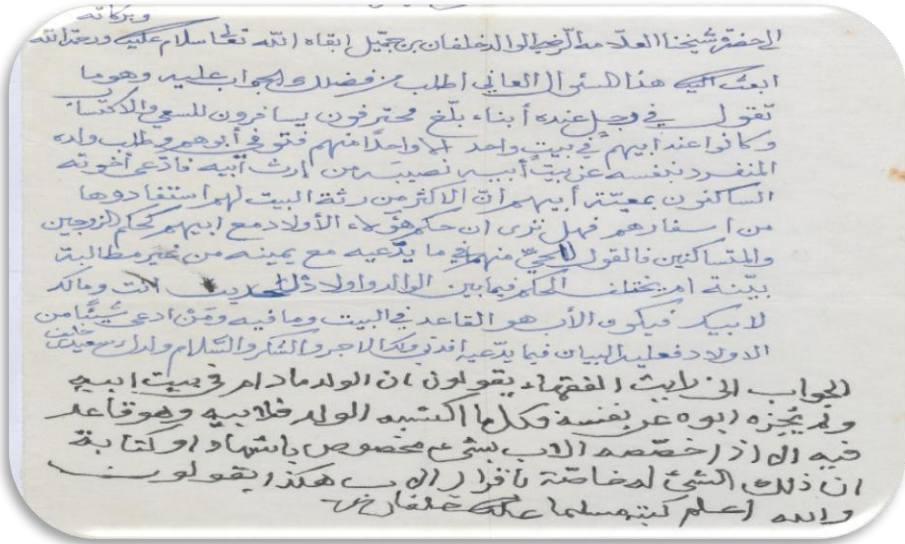
ديوان التراجيم
(٦)

الإصدار الحادي والعشرون بعد المئة

ترجمة الشيخ

خلفان بن جميل

بعد وفاته؛ بقلم الشيخ: سعيد بن خلف الخروصي



استخرجها وضبط نصها:

سُلْطَانُ بْنُ مُبَارَكِ بْنِ حَمْدِ الشَّيْبَانِيِّ

سلسلة: ديوان التراجم

الحلقة السادسة

ترجمة الشيخ خَلْفَان بن مُجَمِّل بعد وفاته

بقلم الشيخ: سعيد بن خلف الخروصي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرقمية الأولى

ربيع الآخر ١٤٤٧هـ / أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٢٥م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي

مسقط / سلطنة عُمان

البريد الإلكتروني:

mahboub.pd@gmail.com

ترجمة الشيخ

خَلْفَانُ بْنُ جُمَيْلٍ

بعد وفاته؛ بقلم الشيخ: سعيد بن خلف الخروصي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه

• بين يدي الترجمة:

بعد ثغرة كبيرة شَهِدَتْهَا الساحة العلمية العُمانية في علم التاريخ -
بصفة عامة - التَفَّت المتأخرون من أهل عُمان إلى سَدِّ بعض جوانب النقص،
فطرقوا أنماطًا من التصنيف لم نعهدها في القرون المتقدمة.
ولَمَّا كانت تراجمُ الأعلام خيرَ مُعَرِّبٍ عن سيرتهم وتاريخهم باتت
الدواعي إليها مُلِحَّةً، وما أحوجنا إلى جمع شذرات متفرقة كُتِبَتْ عنهم، ولا
شك أن الكتابة إذا صدرت من عارفٍ في حقِّ عارفٍ كان لها من الاعتبار ما
ليس لغيرها.

بين يدينا ستُّ تراجمٍ للشيخ خَلْفَان بن جُمَيْلٍ السَّيَّابِي (المتوفى ظهر
الثلاثاء ١٥ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ/ ٢٧ يونيو ١٩٧٢م)؛ كتبها الأشياخُ: سالم
بن مُحَمَّد السَّيَّابِي (المتوفى ١٤١٤هـ) - الذي عاصر المترجم له نحوًا من خمسين
سنة - ومحمد بن راشد بن عُزَيزِ الحُصَيْنِيِّ (المتوفى ١٤١٠هـ) - أحد تلامذته
وَكُتَّابِهِ المقَرَّبِينَ - وسعيد بن خَلْفِ الحُرُوصِي (المتوفى ١٤٣٨هـ) - الذي عاصر
المترجم له في سنواته الأخيرة. وكلُّ واحد منهم كَتَبَ ترجمتين؛ إحداهما في

حياة الشيخ خلفان، والثانية بعد وفاته؛ إلا الشيخ الخصبي فإن ترجمته كتبها بعد وفاة المترجم له.

أما ترجمة الشيخ سالم الأولى فنُشِرَتْ صَدَرَ كتاب المترجم له: «جلاء العمى»، وَوَجَدْتُ أصلها المخطوط في مكتبة الإمام نور الدين السالمي؛ صَدَرَ كتاب «بهجة المجالس» (برقم ١٠٧) بقلم الناسخ: عبد الله بن أحمد بن حمود الحسيني. وهي مؤرخة يوم ٣٠ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ، ويبدو لي أن هذا التاريخ هو تاريخ فراغ الناسخ منها، ولعلها قبل ذلك بسنواتٍ قليلة.

وأما ترجمته الثانية فلم تُنْشَر من قبل، وأصلها المخطوط - بقلم كاتبها - محفوظ في دار المخطوطات العمانية (برقم ٣١٦٤)، وهي في الأصل تقديمٌ لكتاب المترجم له: «فصول الأصول»، الذي صَدَرَتْ طبعته الأولى سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ولم تُنْشَر فيه، وتخلو من تاريخ، وقد كتبها بعد وفاة الشيخ خلفان سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

وأما ترجمة الشيخ محمد بن راشد بن عَزِيزِ الخُصَيِّي الأولى فقد كتبها بقلمه تقديمًا للكتاب الذي جَمَعَ فيه جوابات الشيخ خلفان، وسَمَّاه «فصل الخطاب في المسألة والجواب»، وفرغ منها سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، وقد نُشِرَتْ صدرَ الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

وأما ترجمته الثانية فضمَّنها كتابه «شقائق التُّعْمَان على سموط الجُمان في أسماء شعراء عُمان» الذي فرغ من تبييضه سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، وهي أطول التراجم الست؛ لاستشهاد كاتبها بنماذج من أشعار الشيخ.

وأما ترجمة الشيخ سعيد بن خَلَف الخروصي الأولى فهي ممّا لم يُنشر من قبل أيضًا، وقد وجدناها في خزانته (برقم ٩٠ في الفهرس، ورقم ٤٣ في الخزانة) غيرَ منسوبة ولا مؤرخة، غير أن الخطَّ خطّه في بواكير حياته، وضمير المتكلم فيها يعود إليه كما سنرى في عباراتها، ويترجح تاريخ كتابتها سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م كما هو مفهومٌ من سياقها. وقد اقتبس من ترجمة الشيخ سالم الأولى بعضَ كلامه.

وأما ترجمته الثانية فهي كلمته التي ألقاها في أمسيّة تكريم الشيخ خلفان بن جميل السيّابي؛ التي أقامها المنتدى الأدبي بعمّان بتاريخ الثلاثاء ٢ ذي القعدة ١٤١٢هـ/ ٥ مايو ١٩٩٢م، ونُشرت ضمن الكتاب الذي ضمَّ أبحاث الأمسية (المنتدى الأدبي؛ فعاليات ومناشط. حصاد عام ٩١ - ١٩٩٢م. إصدار: ديسمبر ١٩٩٣م. ص ١٥٩)، ونقلتها منه، مع تصحيحها من لسان كاتبها من التسجيل المصوّر لها.

وهذه التراجم الستُ كانت معتمدَ جُلِّ مَنْ كتب عن سيرة الشيخ خلفان بن جميل، وقد اكتفيتُ باستخراجها وضبطها، مع تعليقات يسيرة عليها.

ولا يفوتني أن أسجّل هنا أن المشايخ الثلاثة كُتِّبَ التراجم - مع ملازمتهم المترجمَ له - اكتفوا بالعُصارة، واستودعوا مكنونَ صدورهم كثيرًا مما لم يدوّنوه، حَسْبُكَ أن الشيخ سالم بن حمود وَعَدَ - إِنَّ يَسَرَ اللهُ له - أن يجمع له ترجمة مستقلة حافلة، ونَثَرَ الشيخُ الحَصِيبي في «زُمُرْدِهِ الفائق» جملةً

من نوادر الشيخ وفوائده وقصصه، وقد سمعتُ من لسان الشيخ سعيد بن
خلف الخروصي أخبارًا كثيرة عن الشيخ خلفان بن جميل؛ لم يذكرها في
ترجمتيّه. وكم أفاتنّا عدمُ التقييد من فوائد!
والله حسبنا، وهو الموفق لكل خير.

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة وجيزة عن الشيخ العلامة خلفان بن جميل

في سيرته وحياته وفضله ومؤلفاته^(١)

الحمد لله الذي أودع قلوبَ العلماء أسرارَ حكمته، وجعل العاملين بها أهلَ مثوبته ورحمته، ضاءت بسرائرهم الأنوار، فأخرجت أفكارهم لطائف الأسرار، فهم هداة الأمة بما حُوِّلوه من المعارف والحكمة، أخلصوا لربهم الأعمال، فأثمر صدقُ الأفعال وروائع الأقوال، رضي الله عنهم ما رُويت أخبارهم، وشَتَّفت الأسماع آثارهم.

وكم من هذا الصنف من العلماء العاملين، والجهابذة المخلصين، مَنْ كان لهم القِدْحُ المعلى في قصبات السباق، وَمَنْ يَحْسِرُ المباري لهم في اللحاق. ومن هؤلاء السابقين في المضمار، مَنْ سبق الكثير من الأخيار، وهو مَنْ دُعينا اليوم لتكريمه، شيخ الإسلام، العلامة الشهير، علامة زمانه، ومفتي أوانه، شيخنا أبو يحيى خلفان بن جميل السيابي، مَنْ شهد له إمام المسلمين العلامة

^(١) أصل هذه الترجمة: كلمته التي ألقاها في أمسية تكريم الشيخ خلفان بن جميل السيابي؛ التي أقامها المنتدى الأدبي بعمان بتاريخ الثلاثاء ٢ ذي القعدة ١٤١٢هـ / ٥ مايو ١٩٩٢م، ونُشرت ضمن الكتاب الذي ضمَّ أبحاث الأمسية (المنتدى الأدبي؛ فعاليات ومناشط. حصاد عام ٩١ - ١٩٩٢م. إصدار: ديسمبر ١٩٩٣م. ص ١٥٩)، ونقلتها منه، مع تصحيحها من لسان كاتبها من التسجيل المصوَّر لها.

الجليل محمد بن عبد الله الخليلي^(٢) بعلاميته في الأصول والفروع، رحمهما الله، وجزاها عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء.

وبعد؛ فهذه نبذة وجيزة في سيرته وحياته وفضله ومؤلفاته. أما فقهه وأصوله فلم أتعرض لتحليلهما لأنني لست فقيها ولا أصوليا.

ولد شيخنا خلفان بن جميل رحمة الله عليه ببلدة «سَيِّمَا» من أعمال ولاية «إزكي» عام ألف وثلاثمائة وثمانين سنين للهجرة، ولما بلغ رشده اهتم بطلب العلم النافع، شأن الرجال الكُمَّل ذوي الهمم العالية، يُزامله في الطلب جاره وزميله وأخوه وخليله الشيخ سيف بن حمد الأغبري^(٣)، فدرسا معا فترة من الزمان، ثم انتقل شيخنا أبو يحيى إلى «سمائل»؛ لشهرتها بالعلماء الأفاضل، فتلمذ على العلامة الشهير حمد بن عُبيد^(٤) الضرير البصير.

ثم تلمذ على إمام المسلمين وأمير المؤمنين الحجة الولي محمد بن عبد الله الخليلي، وذلك قبل نصبه بزمان، وبعد أن أصبح زاده من العلم وفيرا كان كلُّ منهما للآخر بمثابة الأستاذ والزميل في وقت واحد، وكانا ينتقلان ما بين «وادي محرم» و«سمائل» جادّين مجتهدين، حتى صارا شمسَي هداية وبدرَي كمالٍ.

(٢) محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي: نُصِبَ إماما يوم الجمعة ١٣ ذي القعدة ١٣٣٨هـ / ٣٠ يوليو ١٩٢٠م. وتوفي يوم الاثنين ٢٩ شعبان ١٣٧٣هـ / ٣ مايو ١٩٥٤م.

(٣) سيف بن حمد بن شَيْخَانَ الْأَغْبَرِيِّ (ت ٢٢ ذي القعدة ١٣٨٠هـ / ٨ مايو ١٩٦١م).

(٤) حمد بن عُبيد بن مُسَلَّم السَّلِيمِي (ت ٢٨ ذي الحجة ١٣٩٠هـ / ٢٤ فبراير ١٩٧١م).

عمل - رحمه الله - مدرسا بـ«نخل»، ثم قاضيا بها، ثم قضى بـ«الرساق» زمانا عصرَ الإمام الخليلي رضي الله عنه، ثم بـ«مسقط» و«صور»، عصر السلطان تيمور^(٥)، وابنه السلطان سعيد بن تيمور^(٦)، ثم عاد إلى وطنه «سمائل» عام ألف وثلاثمئة واثنين وستين، وبقي بها قاضيا للإمام الخليلي رضي الله عنهما جميعا ومدرسا في نفس الوقت، ومرشدا ناصحا، وواعظا مخلصا، وأدرك من عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد^(٧) عامين، كان فيهما هو المفتي بالسلطنة.

وَلَمَّا كُنْتُ عاملاً بـ«سمائل» صَحِبْتُهُ اثني عشر عاماً^(٨)، فرأيت أوقاته موزعة في فضائل الأعمال، شأنُ الكَمَلَة من الرجال، فلا تجده إلا مصلِّياً، أو ذاكرة داعياً، مستقبلاً المحراب، أو تالياً للكتاب، أو كاتباً أو مُمِلِّياً فتوى، أو حاكماً بفصل الخطاب في دعوى، لا يخلو مجلسه من طالب علم ومسترشد، أو زائر في الله ومسترفد، لا يبخل بموجود، كما لا يتكلف المفقود، لا تسمع

^(٥) تيمور بن فيصل بن تركي البوسعيدي؛ حكم بين سنتي ١٣٣١هـ / ١٩١٣م - ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م. وتوفي يوم السبت ١٤ ذي الحجة ١٣٨٤هـ / ١٧ إبريل ١٩٦٥م.

^(٦) سعيد بن تيمور بن فيصل البوسعيدي؛ حكم بين سنتي ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م - ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م. وتوفي الخميس ١٢ رمضان ١٣٩٢هـ / ١٩ أكتوبر ١٩٧٢م.

^(٧) قابوس بن سعيد بن تيمور البوسعيدي؛ تولى الحكم يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ / ٢٣ يوليو ١٩٧٠م، وتوفي الجمعة ١٤ جمادى الأولى ١٤٤١هـ / ١٠ يناير ٢٠٢٠م.

^(٨) منذ سنة ١٣٨١هـ إلى وفاة الشيخ خلفان سنة ١٣٩٢هـ.

في مجلسه أحاديث الدنيا، بل همته ميالة إلى الصفات العليا، لا يُجَامِلُ غنيًا لغناه، ولا يَحْتَقِرُ أحداً لفقره، المسلمون لديه متساوون، ولا يرشاده مستمعون.

أذكر من عدم مجاملته: قال لي يوماً: لِمَ وَصَفْتَنِي بقولك:

مشكاة نَحَلَّتِهِ مصباح مِلَّتِهِ

سَجَاد ليلته حامي حمى الحَرَم

قال: من أين تعلم أنني سجاد ليلتي؟ ألا تدري أن الكذب حرام؟

وهذا البيت من أبياتٍ قلتها في تقريظ كتابه (بهجة المجالس)^(٩)،

فأجبتة: وصفتك بذلك لشيئين: أما أولاً؛ فلحديث: «من صلى العشاء الآخرة في جماعة فكأنما قام نصف الليل، فإذا صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله، وكان نومُه عليه صدقة». وأنت لا تفوتك الصلوات الخمس في الجماعة. وأما ثانياً؛ فلأني صحبتك في السفر، فرأيتك قَوَّامًا، فأنا غير كاذب. فتبسّم، وقال: ما شاء الله. أراك أُلْهِمْتَ الحُجَّةَ.

كان - رحمه الله - فقيهاً محققاً، وأصولياً مدققاً، شهد له بذلك الإمام الخليلي - رحمه الله - كما مرّ آنفاً. له في فروع الفقه: كتابه «سلك الدرر الحاوي غرر الأثر» في مجلدين. وفي أصول الفقه: كتابه «فصول الأصول» في مجلد واحد، ويبدو تحقيقه الأصولي واضحاً في أجوبته النظامية والنثرية، وكان

^(٩) لعل الشيخ أنشأ قصيدته هذه - ابتداءً - لتقريظ «بهجة المجالس»، غير أنها نُشرت ضمن تقاريط «جلاء

واسع العلم في أحكام الدماء، وله فيها قصيدة شرحها شرحاً مفيداً وافياً سماه: «جلاء العمى في شرح ميمية الدما».

وله كتاب رابع نفيس رائع سماه: «بهجة المجالس»، اشتمل على قصيدته الطويلة المسماة بـ «لامية الحكم»، وعلى قصيدة في السلوك سماها «القطرة الغيثية»، وعلى أجوبته النظامية، منها في أصول الفقه وغالبها في الفروع، وجميع مؤلفاته واضحة سهلة مليئة بالتحقيق والتدقيق. جزاه الله بما يستحقه من إفضاله وكراماته، وسقى مضجعه وسَمِّيَ بره ورحماته.

توفاه الله في النصف من جمادى الآخرة عام ألف واثنين وتسعين^(١٠) للهجرة، مرضى السيرة، صافي السريرة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وأختم كلمتي هذه بقصيدة قلتها في تقرّظ كتابه «فصول الأصول»، لاشتمالها على شيء من صفاته وذكر مؤلفاته. وهي كما يلي - وهذه القصيدة قلتها في حياة الشيخ -:

يا رائماً للفقهِ مِنْ أسفارهِ	لازِمَ فُصُولَ أَصُولِهِ ومُدَارِهِ
لا يُدركَنَّ فروعهَ مَنْ لم يكن	مُسْتَجْلِياً للأصل من أخباره
منَعَ الوصولَ إلى الفروعِ إضاعةً	لأصوله من زاخرات بحاره
فاسهرْ لِدرِكِ فصوله من أصله	من محكم التنزيل أو آثاره
وارفعْ عقيرةَ مُعْجَبٍ بفصوله	إذ فزت من محصوله بُنْضاره

^(١٠) هكذا كُتِبَ في الأصل، وهكذا قرأها الشيخ في التسجيل المصوّر، وهو يريد ١٣٩٢ هـ.

شَعَّتْ شَمْسُ الْحَقِّ مِنْ أَخْبَارِهِ
سِفْرٌ إِذَا أَمَعْتَ فِي تَحْرِيرِهِ
عَدُبَتْ مَجَارِي وَرْدِهِ وَصَفَتْ فَمَا
فَالرُّشْدُ فِي تَذَكَارِهِ وَالسَّعْدُ فِي
لَمَ لَا وَجَامِعِهِ الْفَقِيهِ الْمُرْتَضَى
عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ ابْنُ جُمَيْلٍ
حَبْرٌ إِذَا يَمَمْتُهُ فِي مُشْكِلٍ
حَقًّا يُذَكِّرُ بِالْإِلَهِ لِقَاؤُهُ
فِي هَدْيِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَمَّا سَمْتُهُ
لَمْ يَخْتَدِعْهُ الزَّخْرُفُ الْفَانِي وَلَا
لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا بِمَجْلِسِ ذِكْرِهِ
لَمْ يَخْشَ إِلَّا رَبَّهُ فَلَذَا غَدَا
عَشَقَ الْمُحَامِدَ فِي غَضُونِ شَبَابِهِ
فَسَمِيرُهُ الْعِلْمُ الرَّفِيعُ وَخِذْنُهُ
إِنْ شِئْتَ تَعْرِفْ شَأْنَهُ وَمَكَانَهُ
مِنْ سِلْكِهِ وَجَلَالِهِ وَفُصُولِهِ
فِيهَا جَلَاءُ سُمُوهِ وَكَمَالِهِ
حَوْتَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَانْتَشَتْ

فَانْجَابَ غَيْمُ الْبُظْلِ مِنْ أَنْوَارِهِ
أَيَقَنْتَ أَنَّ الْحَقَّ فِي أَسْرَارِهِ
بَرَدَى عَلَى تَفْضِيلِهِ كَغِرَارِهِ
أَسْطَارِهِ وَالرَّفْدُ فِي اسْتَظْهَارِهِ
إِنْسَانُ عَيْنِ الْمِصْرِ خَيْرُ خِيَارِهِ
هُوَ بَدْرُ هَذَا الْعَصْرِ شَمْسُ نَهَارِهِ
جَلَّى بِنُورِ الْعِلْمِ غَيْمَ غُبَارِهِ
مِنْ طَيْبِ مَنْطِقِهِ وَحَسَنِ حَوَارِهِ
سَمْتُ الْمُلُوكِ لِحِدِّهِ وَوَقَارِهِ
يَرْنُو لِدَرْهَمِهِ وَلَا دِينَارِهِ
أَوْ مَنْزِلِ الضَّيْفَانِ أَوْ فِي دَارِهِ
لَا يَخْشَى صَرْفَ الدَّهْرِ فِي أَدْوَارِهِ
فَسَمَتْ بِهِ لِلْمَجْدِ فِي أَطْوَارِهِ
ذَكَرُ الْإِلَهِ بَلِيلُهُ وَنَهَارُهُ
فَاسْتَفْسَرَ الْأَخْبَارَ مِنْ آثَارِهِ
أَوْ بِهَجَةٍ كَالْبَدْرِ فِي أَنْوَارِهِ
وَبَهَا اجْتَلَاءُ الْخَيْرِ مِنْ أَخْيَارِهِ
تُمْلِي الْهَدْيَ وَالرُّشْدَ عَنْ أَحْبَارِهِ

فإذا نظرت إلى متين أصوله
فادعُ الإلهَ بِجَوْفٍ ليلِكَ مخلصًا
وبأنَّ يُطِيلَ حياته كي يَنْشُرُنْ
وأمُنْ عليه إلَهنا بِسلامةٍ
في مقعدِ صِدْقٍ جوارِ مُحَمَّدٍ
صلى عليه الله ما فَلَقَ الدجى
مع آله الرَّاقيِنَ فوق سَماءِ العلا
وعلى الصحابة كلهم مع مَنْ قَفَا
وجَنَيْتَ شَهْدَ الحق من أثمارِهِ
للشيخ فَضْلَ العفو من غَفَّارِهِ
عِلْمَ الهدى والرُّشْدِ في أدهارِهِ
حتى يَقَرَّرَ على النعيم ودَارِهِ
أَنْعَمَ به وبطيِّبِهِ وجوارِهِ
صُبْحُ الهدى من واضحات بحارِهِ
والعاقرين الكُفْرَ وَسَطَ قرارِهِ
نهج النبي وسالكي آثارِهِ